التجاوزات غير الأخلاقية في سياق التواصل الاجتماعي الافتراضي ـ دراسة استطلاعية ـ

Unethical transgressions in the context of virtual social communication - Exploratory study –

د. كريمة قلاعة، جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة 3- الجزائر

ملخص: يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على إحدى الظواهر التي أصبحت منتشرة بين أوساط الشباب بفعل استخدام الشبكات الاجتماعية، حيث يُعْنَى هذا الموضوع تحديدا بمسألة التجاوزات غير الأخلاقية والانحرافات السلوكية التي اتخذ الشباب من المجتمعات الافتراضية فضاء جديدا لممارستها، حيث استحدثت بذلك مسميات جديدة لنفس الإشكاليات القديمة التي كانت موجودة في المجتمعات الواقعية، ولقد قمنا في هذا الصدد بمعالجة هذا الموضوع من خلال القيام بدراسة استطلاعية اعتمدنا فيها على كل من المنهج الوصفي، وكذا على تقنية المقابلة وكما تم اختيار الشباب الجزائري كعينة للبحث، أما عن مجال هذه الدراسة فقد تمثل في الفايسبوك بصفته أكثر مواقع التواصل الاجتماعي استخداما على الإطلاق لدى هؤلاء الشباب.

الكلمات المفتاحية: التجاوزات غير الأخلاقية، الانحرافات السلوكية، الفايسبوك، الشباب الجزائري.

Abstract : This article aims to highlight one of the phenomena that has become widespread among young people and adolescents by the use of social networks, where this topic specifically addresses the issue of immoral transgressions and behavioral deviations that took young people from virtual societies a new space to practice, where it developed new names for the same old problems that existed in real societies, In this regard, we have dealt with this issue through conducting exploratory study we have relied on both the descriptive approach as well as on the interview, and for the area of this study, we chose Facebook as the most social networking site used by these young people.

Key words: Unethical transgressions and Behavioral deviations, Facebook, Algerian youths.

"الأمر المخيف هو أن يصبح الإنسان عبدا للتطور التقني، لقد غيَّرنَا محيطنا بطريقة جذرية حتى أصبح من اللازم علينا أن نُغير أنفسنا من أجل العيش في هذا المحيط الجديد فالإنسان بما هو كائن أخلاقي عليه أن يتحمل مسؤولياته وعدم إلقائها على الآلات، فتعسا لنا إذا تركنا الآلة تقرر سلوكنا، ولن نفعل ذلك إلا إذا فحصنا مسبقا قوانين فعلها وعرفنا بما فيه الكفاية أن سلوكها سوف يتم على مبادئ مقبولة لنا " (Norbert Wiener)

مقدمة:

أصبح الإنسان في ظل المجتمع المعاصر يعيش ضمن ثنائية فريدة من نوعها جعلت كل الممارسات الاجتماعية في حياته الواقعية تنتقل لتتم في عالم موازي، وهذا عن طريق الحوامل الرقمية، هذه الأخيرة التي حققت للإنسان قفزة نوعية على صعيد عدة مستويات: اجتماعية واقتصادية، وسياسية، وكذا على صعيد مرونة الاتصال والانفتاح الثقافي، فضلا على تحقيق عدة مكتسبات أهمها ما تعلق بمسألة حرية الرأي والتعبير، لكن كل هذا لا ينفي أن لهذه الوسائط الرقمية آثار سلبية جسيمة على العديد من الجوانب الإنسانية مما يستوجب دق ناقوس الخطر حولها، فالمجتمعات الافتراضية على وجه الخصوص منذ ظهورها قد غيرت من بناءات التفاعل الاجتماعي التقليدي، وخلقت بذلك العديد من الإشكاليات التي ترتبط بالأفعال الاجتماعية للأفراد ومحدداتها، وهذا على إثر الخصائص التي باتت تتسم بها أرضية التفاعل الافتراضي، والتي تتيح فرصا كبيرة لتجاوز مختلف الضوابط الاجتماعية، من معايير، قيم، عادات وتقاليد، ويمس هذا بشكل مباشر الجانب الأخلاقي لتعاملات المستخدمين في مثل هذه الفضاءات الرقمية، فقد عمل الانفتاح على مستوى الهويات الشخصية في العوالم الافتراضية على تفكيك وخلخلة المنظومة القيمية لدى العديد من الأفراد المستخدمين تحديدا للشبكات الاجتماعية أين أصبح يَقِلُ ضغط الضبط الاجتماعي؛ فالالتزام هنا بالمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمعات العربية بات تحديا صعبا، خاصة في ظل الحرية الفائقة التي يتمتع بها هؤلاء المستخدمون، وكذا تبعا للقدرة على عدم كشف الذات للآخرين وهذا في ظل انعدام الهوية البصرية؛ كل هذا والعديد من الأسباب الأخرى أدى إلى انتشار الانحرافات غير الأخلاقية والسلوكية لدى الشباب والمراهقين في الفضاء الافتراضي، وهذا ما يستدعي ضرورة البحث والتحليل في هذه الظاهرة.

المشكلة البحثية:

أدت حتمية التوصل الافتراضي التي أصبحنا نخضع إليها في حياتنا اليومية إلى بروز العديد من التأثيرات والانعكاسات السلبية؛ والتي لا نستطيع القول بأنها مستحدثة في المجتمع الجزائري بفعل هذا النمط من الاتصال، وإنما كانت موجودة من قبل إما بشكل محدود أو بشكل غير باد للعيان، لكن هذا الفضاء الافتراضي ساهم في استفحالها بشكل كبير، باعتباره مجالا جديدا لحدوثها، فمثلما هناك ايجابيات عدة لهذا الاستخدام مثلما له سلبياته على المستوى الفكري والأخلاقي، وبالتالي على المستوى السلوكي، هذا الأخير الذي أصبح متحررا من المحددات القيمية المتحكمة فيه، خاصة في ظل الإمكانية المتاحة لتعددية الذات، والمجال المفتوح لممارسة اللعب بالأدوار، أين يمكن للمستخدم أن يعيش تجارب حياتية مختلفة عما يعيشه في واقعه الاجتماعي، والتي ترضي فضوله من جهة، وتشبع بعض الاحتياجات التي لا يستطيع بلوغها في الحياة الواقعية من جهة أخرى، ويكون هذا خاصة لدى الشباب والمراهقين، فهذه المراحل العمرية تعرف قدرا كبيرا من الرغبة في التحرر، الاندفاع، وحب الاستكشاف والدخول في كل ما هو جديد، فبالنظر إلى عوامل الانفتاح والحرية السامة المتاحة عبر الشبكات الاجتماعية - كما يسميها بعض الباحثين- والتي تؤثر على الوعي والفعل الإنساني بشكل خطير نجد أنفسنا أمام جملة من التساؤلات الهامة التي نطرحها في علاقتها بالشباب الجزائري تحديدا، والتي نبتدئها بالتساؤل الرئيس:

- ما واقع التأثير السلبي للفايسبوك على المنظومة الأخلاقية للشباب الجزائري؟

أما التساؤلات الفرعية للدراسة فقد جاءت على النحو الآتي:

- ما مدى إقدام الشباب الجزائري على القيام بتصرفات وممارسات غير أخلاقية عبر الفايسبوك؟
- ما طبيعة هذه التجاوزات غير الأخلاقية التي تتم عبر الفايسبوك؟
- ما الدوافع التي تقف وراء هذه التجاوزات، والتي تكون سببا في الوقوع في مثل هذه الانحرافات؟
- هل يعتبر متغير الجنس عاملا مؤثرا على الدخول في تجاوزات غير أخلاقية عبر الفايسبوك بالنسبة لهؤلاء الشباب؟
- هل يؤثر عامل الحجم الساعي للاستخدام على مدى إقبال هؤلاء الشباب على الإقدام على هذه الانحرافات غير الأخلاقية والسلوكية عبر الفايسبوك؟

أولا. بعض الجوانب المنهجية:

تحديد المفاهيم:

التجاوزات غير الأخلاقية: يُعَرَّفُ الانحراف عامة بأنه: ذلك الفعل الذي ينبني على عدم مسايرة المعايير الاجتماعية، وكما يدل هذا المصطلح على خروج الفرد عن القيم، العادات والتقاليد الاجتماعية الصحيحة، والأوامر الدينية، وكما يعرفه علماء الاجتماع بأنه: الخروج عن السلوك السوي، وعن قيم المجتمع وتقاليده (عبد هادي فريح القيسي، 2018، ص82).

أما التجاوز غير الأخلاقي أو ما يصطلح عليه عادة ب " الانحراف الأخلاقي " فهو يشير إلى ذلك السلوك الذي يصدر عن الإنسان فيخدش الحياء أو يعود بالضرر المباشر على الفرد نفسه أو غيره، بحيث يعتبر نوعا من أنواع الانحرافات السلوكية والتي تتمثل في الخروج بشكل ملموس عن المعايير التي أقيمت للناس في ظروفهم الاجتماعية (يعقوب يونس خليل الأسطل، 2011، ص49-51).

إجرائيا: يقصد بالتجاوزات غير الأخلاقية تلك الانحرافات التي تعتبر تصرفا غير سوي يخرج عن المعايير السائدة في المجتمع، والذي يبتعد عن القيم الخلقية التي ينبغي أن يُكَيِّفَ الفرد سلوكه بما يتماشى معها.

الفايسبوك: ترجع الإرهاصات الأولى لظهور الفايسبوك إلى سنة 2004 م، وهذا تزامنا مع ظهور **web 0.2** حيث دخلت الأنشطة الإلكترونية عصرا جديدا، فاستخدام صفحات الويب والاتصال لم يعد أبدا يسير في اتجاه واحد، فالمستخدمين أصبحوا قادرين تماشيا مع هذا التطور على التفاعل مع بعضهم البعض، والدخول في حوارات تبادلية ثنائية وحتى جماعية وازدادت شعبية مواقع الويب 0.2 عندما أصبحت تشتمل على "الشبكات الاجتماعية" (Mark Mark (Johns, Shing-ling-Chen, Laura Terlip, 2014, p44) ويعد الفايسبوك من أشهر مواقع التواصل الاجتماعي التي تحظى بشعبية كبيرة " فمستخدموه يصلون إلى أكثر من 1بليون في الوقت الحالي"(Mark Johns, Shing-ling-Chen, Laura ,2004 , p44 Terlip) ويعود الفضل في اختراع هذه الشبكة إلى" شاب عشريني أمريكي اسمه **مارك زيكربيرج** (Zuckerberg Mark) بالتعاون مع اثنين من رفاقه بالسكن الجامعي في جامعة هارفرد، وقد كان الموقع في البداية مقتصرا على طلبة الجامعة، ثم امتد ليشمل طلبة الجامعات الأمريكية الأخرى، ثم انتشر بعد ذلك في أوروبا والعالم"(محمد صاحب سلطان، 2012، ص360).

إجرائيا: لا يختلف ما حدد اصطلاحا حول الفايسبوك عن ما هو مقصود إجرائيا، حيث يعبر الفايسبوك عن ذلك الفضاء الافتراضي التواصلي الذي يعرف قدرا كبيرا من الاستخدام لدى الشباب في المجتمع الجزائري.

الشباب: اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الشباب، وهذا باختلاف المجالات العلمية التي ينتمي إليها هؤلاء الباحثين، حيث نجد تباينا ما بين المنظور النفسي، الاجتماعي وكذا البيولوجي، والعمري حيث نجد الجمعية العامة للأمم المتحدة قد عرفت فئة الشباب بأنهم: الأفراد الذي يتراوح عمرهم ما بين 18 و25 سنة، وكما تعرف فئة الشباب بأنها فترة العمر التي تتميز بالقابلية في النمو، يمر فيها الإنسان بمراحل حيوية تتميز بالقابلية للنمو الذهني، النفسي والاجتماعي، والبدني والعاطفي في حين من يرى أن الشباب هو ظاهرة اجتماعية تخص أساسا مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، حيث تبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي، النفسي والبيولوجي، ويختلف التحديد العمري لفئة الشباب من مجتمع إلى آخر، ويرتبط هذا بطبيعة الثقافة السائدة في هذا المجتمع وكذا درجة تعقيده، وعلى العموم فإن مرحلة الشباب تعتبر مرحلة تغيير جذري كمي ونوعي في ملامح الشخصية من ناحية أولى، ومن ناحية ثانية مرحلة تغير سريع متلاحق لا يترك لبعض الأفراد فرصة كافية لإعادة التنظيم والتكيف، وكما أنها فترة لها خصائصها المميزة من ميل اجتماعي، ديناميكية، طاقة إنسانية تتميز بالحماسة، الحساسية والجرأة، الاستقلالية، الفضول، حب الاستطلاع(ليلى أحمد جرار، 2012، ص87-91) وغيرها من الصفات التي تطبع هذه المرحلة.

إجرائيا: يُعْنَى بالشباب من خلال هذه الدراسة فئة من فئات المجتمع الجزائري والتي تتمثل في مجموعة من الأفراد الذين ينتمون إلى مرحلة عمرية محددة ما بين 18 و30سنة، والذين يُقْبِلُون على استخدام الفايسبوك بالدرجة الأولى.

المنهج المستخدم: تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي يعتبر أسلوبا من أساليب التحليل الذي يعتمد على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد خلال فترة، أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية؛ وتفسيرها بطريقة موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة(علي غربي، 2009، ص85)، حيث يشتمل هذا النمط من المناهج على جانبين؛ أولهما كمي والثاني كيفي (تفسيري وتحليلي).

عينة الدراسة: جاءت عينة الدراسة قصدية، حيث تم التوجه إلى فئة الشباب الجزائري تحديدا دون غيرهم من الفئات العمرية الأخرى، وهذا تبعا لكونهم الأكثر استخداما للشبكة الاجتماعية "الفايسبوك"، وقد بلغ حجم هذه العينة 80 مبحوثا، كما تم التوجه نحو هؤلاء الشباب بصفة عرضية بغض النظر عن مستوياتهم التعليمية وأوضاعهم الاجتماعية، وقد تم حصر هذه العينة من حيث السن مابين 18 و30 سنة فهذا المتغير قد قسمناه إلى 3 فئات فرعية من 18 حتى 22، ومن 23 حتى 26، ومن27 حتى 30، أما من حيث متغير الجنس فقد اشتملت العينة على 40 ذكور و40 إناث.

أدوات جمع البيانات: تم الاعتماد في هذه الدراسة على تقنية المقابلة المباشرة النصف موجهة والتي تم من خلالها طرح جملة من التساؤلات التي تتعلق بالظاهرة المدروسة، بداية مع ما يختص بالبيانات العامة للمبحوثين، ومن ثم بعض الأسئلة التي تتعلق بعادات الاستخدام وطبيعته، وتفضيلاته، هذا فضلا على الاستفسار حول ما يتعلق بطبيعة تصرفات وسلوكياتهم أفراد العينة أثناء التواصل الافتراضي مع الآخرين، وعن تأثير الفايسبوك على القيم الأخلاقية لهؤلاء الشباب، وكذا عن حجم هذا التأثير إن وجد، والتساؤل أيضا عن الدوافع، الأسباب والغايات.

ثانيا. تأثير الفايسبوك على القيم الأخلاقية لدى الشباب:

إن القيمة هي ظاهرة توفر احتمال استبطان الإنسان عواطفه، أفكاره واعتقاداته وفعالياته وتكون علاقة هذه الظاهرة بالأخلاق وتطورها الفكري والعلمي والوجودي الكامن الذي ينظم معاملات الإنسان، ونجد أهم عامل مؤثر على القيم الأخلاقية "الدين"، وفي هذا السياق تقدم التعاليم، والقيم الدينية والأخلاقية المبادئ الأساسية إلى الإنسان خلال علاقته بالطبيعة، وتدفعه إلى استخدام فعالياته العلمية لتحقق المصلحة البشرية، وعلى نقيض ذلك لو لم تكن القيم الأخلاقية ظاهرة، كما أن هذا النمط من القيم لابد أن يملك أبعادا اجتماعية لتكون عاملا واضحا في العلاقة بين الإنسان ومحيطه، فلكل فرد ومجتمع بنية أخلاقية، وهذه البنية والقيم الأخلاقية تؤثر على شكل التفكير والفهم الإنساني والمعاملة والعلاقة الإنسانية، وتغيرها المستمر(جبريل بن حسن العريشي، 2015، ص96). فهذه القيم هي بمثابة اللاعب الأبرز في تشكيل سلوكنا وردود أفعالنا، بل هي التي تشكل طريقة حياتنا فمنظومة قيم كل فرد تشكل شخصيته، وترسم ملامح هويته الذاتية (جبريل بن حسن العريشي، 2015،، ص100)، وبعبارة أخرى فإن القيم الأخلاقية تنظم الحياة الاجتماعية، حيث تتحقق هذه القيم مع تطور العناصر الدينية والمعنوية والثقافية، ولذلك على الإنسان أن يملك المعرفة والوعي ليكون عضوا مثاليا في المجتمع (جبريل بن حسن العريشي، 2015،، ص97).

هذه القيم الأخلاقية مثلما يمكن للفايسبوك أن يقوم بتعزيزها بصفة أكبر من خلال ما يتم نشره من مضامين ايجابية تسعى لترقية الجانب الأخلاقي للأفراد، مثلما يمكن أن يقوم بدور عكسي من حيث المساس بهذا الجانب والعمل على تهويده والانحطاط به إلى المراتب الدنيا ويمكن القول هنا بأن " العديد من المخاوف التي يتم طرحها على الصعيد الأخلاقي في الفضاء الافتراضي ترتبط بما هو موجود في الحياة العادية، فمختلف الانحرافات التي تحدث في الحياة المادية تجد لها مكانا أيضا في الواقع الافتراضي؛ بما في ذلك من: الخيانة، الكذب، النميمة واختلاس النظر، التجسس على الآخرين السرقة، الغش، الإغواء،عدم الوفاء بالوعود، الإهانة وعدم الإخلاص، وكذا التعامل بطريقة غير حضارية ومسيئة للآخرين، إضافة إلى العديد من المظاهر الأخرى التي تُعَبِرْ على فقدان الأصالة في تعاملات الإنسان بشكل عام افتراضيا ويمكن أن نصطلح على مجمل ما تم ذكره بما يُعْرَفْ عادة ب"الذعر الأخلاقي" (Katleen Gabriels, 2011, p11-12).

بسبب الخصائص التكنولوجية الجديدة اتخذت هذه المخاوف معنا جديدا في الفضاء الافتراضي والقلق المتزايد هنا في حقيقة الأمر يرتبط بصفة أكبر بالجنس الافتراضي والذي يتعلق إلى حد كبير بالمشاكل المتعلقة بالزنا، الخيانة والخداع، حيث ظهرت في هذا الصدد قضايا جديدة ومصطلحات بديلة لنفس المشاكل القديمة على غرار: الاغتصاب الافتراضي والبغاء الافتراضي والعنف اللفظي الافتراضي أيضا.

ويمكن القول هنا بأن هناك العديد من العوامل التي يمكن أن تقف وراء هذا الدور العكسي الذي تقوم به الشبكات الاجتماعية عموما، والفايسبوك على وجه الخصوص " فعامل العزلة من ناحية، وعدم وضوح الحدود الفاصلة بين ما هو واقعي وما هو افتراضي من ناحية أخرى يزيد من خطر عدم احترام الجوانب الأخلاقية في مثل هذه العوالم الرقمية التي كلما زادت درجة مشاركتنا فيها - أي أصبحنا مغمورين في خضمها-، كلما أصبحنا أكثر تفاعلا في العالم الافتراضي وأقل وعيا وإدراكا للواقع الحقيقي" (Katleen Gabriels, 2011, p11-12)، هذا إلى جانب القدرة على عدم كشف الهوية وكذا إمكانية تعددها؛ إذ أن تَحَصُنْ الفرد وراء شاشة حاسوبه وغياب هويته الحقيقية عن الآخرين؛ " تجعله يُقْبِلُ بكل طمأنينة "على ممارسة توهم امتلاك قوة خارقة للفعل تقفز فوق إكراهات واشتراطات واقعه المادي(الصادق رابح،

دس، ص17)، فالوجه المادي يعتبر شرطا مسبقا للمسؤولية الأخلاقية لكنه مفقود في المحيط الافتراضي، فالتواصل المباشر وجها لوجه والرابطة الجسدية تدعم الدفء والولاء في العلاقات الاجتماعية على المدى الطويل؛ وهذا ما يعطي شعورا بضرورة الالتزام وهذا ما لا يتحقق في المجتمعات الافتراضية، بل على العكس من ذلك يتقلص شيئا فشيئا الوعي الأخلاقي (Katleen Gabriels, 2011, p12-13).

ويتجسد هذا خاصة في ظل أن المجموعة الانتمائية للانترناتي ليست حاضرة ل" كبحه"، أو فرض قيود عليه، أو مراقبته خلال استعارته وتجريبه للذوات المختلفة، فمعايشة الأبناء لشبكات التواصل الاجتماعي خاصة في سن المراهقة مثلا تجعلهم أقل تأثرا بقيم الأسرة، وتُضْعِفُ إدراكهم لتوجيهات الآباء، ومن ثم يتراجع تأثير الأسرة على سلوك الأبناء، وفي المقابل يزداد تأثير المجتمع الافتراضي(كلثوم بيبيمون، 2016، ص74)، ويكون هذا التأثير بصفة أكبر على فئة الشباب والمراهقين ممن يسمون ب "جيل الإنترنت" الذي يظهر كجيل ثنائي الهوية وهش، غير راشد، فضولي، يميل إلى تثمين ذاته، إضافة إلى كونه صاحب رؤية شمولية في توجيه نفسه (كلثوم بيبيمون، 2016، ص73)، حيث يميل إلى التحرر من معايير الجماعات المرجعية التي ينتمي إليها.

فالانترناتي في هذه الحالة يمكن له أن يستعير ويجرب ما شاء له من الذوات دون أن يتعرض للعقاب، فالذوات التي يتقمصها في هذا الفضاء هي في أغلب الأحيان متناقضة مع الأدوار الفيزيائية والاجتماعية التي يمكن أن يقوم بها في الحياة الفعلية، فالقيام بهذه الأدوار الافتراضية يرجع في الغالب إلى عدم قدرة الشباب على القيام بها في حياتهم العملية، وهذه الوضعية في حقيقة الأمر لم تُخْلَقْ من فراغ، وإنما هي في الغالب تسعى إلى تحقيق رغبات وتطلعات أقصتها الحياة الفعلية ومنعتها من التحقق(الصادق رابح، دس، ص5). هذه الوضعية الاجتماعية التي يعيشها مستخدم الفايسبوك تجعله ينطلق في تصرفاته وسلوكياته من المطلق إلى النسبي: حيث أن إبحار الفرد من ثقافة إلى أخرى عبر الفضاء الافتراضي من الممكن أن يجعله يتناسى المسلمات والثوابت، فينتقل من المطلق في الحياة العامة إلى النسبي في الحياة الافتراضية(جمال سند السويدي، 2014، ص72)، هذا فضلا على أن التأثير التراكمي الزمني خلال فترة معينة يُحْدِثُ للفرد ضُعْفا في درجة الانفعال أو المناعة الايجابية الذاتية اتجاه ظواهر بعينها، فمثلا نتيجة لتعوده مشاهدة مقاطع فيديو عن العنف أو الجنس، تقمص شخصيات ولغة تخل بالقيم؛ فإن الفرد يصاب بالتبلد وعدم الإحساس واللامبالاة اتجاه كل هذه الممارسات(جمال سند السويدي، 2014، ص73).

لا شك أن طبيعة الهوية الرقمية تقتضي على المستخدم الاستفادة من الحرية المتاحة له في المجتمع الافتراضي لكن يجب أن يتزامن هذا مع تحمل الفرد مسؤوليته الأخلاقية اتجاه المتداول الرقمي في المجال العام الافتراضي ليمارس اهتماماته المشتركة ويتقاسمها مع الآخرين، مع أولوية التعبير عن المنظومة الثقافية والحضارية للمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد مكانا وزمانا. والالتزام هنا يعتبر تحديا في حد ذاته في ظل الانفتاح الثقافي الذي يتعايش فيه المستخدمون عبر الشبكات الاجتماعية؛ حيث نجد نواف محمد عبد الرحمن، رئيس مجلس إدارة جمعية البحرين للإنترنت يقول:"إن الإنترنت بمثابة مجتمعات متكاملة تمثل امتدادًا وانعكاسًا للمجتمعات الموجودة على أرض الواقع، والتي تزخر بالتشريعات والقوانين والتوعية والتربية بينما هذه الأشياء مفقودة بالنسبة لمجتمعات الإنترنت، التي تمثل تواصلًا بين مختلف الأجناس والفئات. ولرفع مستوى التواصل الاجتماعي نحن نحتاج إلى قوانين وتشريعات، ولكن قبل ذلك نحتاج إلى تربية صحيحة وتوعية، لأن مواقع التواصل أصبحت موجودة في هواتف الأطفال وأن نعلّم أبناءنا وضع القيود والحدود في أسلوب التعامل مع هذه الشبكات، لأننا في أرض

الواقع نتعامل مع الشخصيات وجها لوجه ولكن في عالم الإنترنت، وإن تعاملنا معًا بأسماء وصور حقيقية، ولكن الأشخاص قد يكونون غير حقيقيين، وبالتالي قد يتعرض المتعاملون معهم للاستغلال، ثم تأتي التشريعات والقوانين في المرتبة الثالثة بعد التربية والتوعية لحوكمة عالم الإنترنت والتواصل الاجتماعي، على أساس أن يكون لكل شخص حقوق وواجبات، ولذلك فهي منظومة متكاملة بين أطراف المجتمع لتوعية كل الأطراف في العالم وخلق مجتمع صحي في شبكات التواصل الاجتماعي"(شريف درويش اللبان، 2015).

إذن نحتاج وفقا لهذا من دون شك إلى تنشئة اجتماعية على قواعد وأسس متينة تماشيا مع تعاليم ديننا الحنيف ومع ثقافة مجتمعنا، وهذا إضافة إلى العمل على نشر التوعية بين الشباب بالمخاطر والانعكاسات السلبية التي تؤثر عليهم ليس فقط اجتماعيا أو على وعيهم وهويتهم الفعلية؛ بل حتى على صحتهم النفسية، والتوعية هنا يجب أن تقوم على التربية على التعامل مع وسائل الإعلام والاتصال الجديدة، فضلا على ضرورة سن التشريعات والقوانين اللازمة للحد من مثل هذه الظواهر رغم صعوبة تحقيق ذلك أو حتى استحالته في ظل وجود عدة عوامل تجعل من هذه العملية أمرا معقدا، وبالتالي يبقى الدور الأكبر في يد المستخدم ليحمي ذاته من ذاته الرقمية حتى يعيش في حالة من التوازن، بدل الإحساس بالتشتت، والضياع وحتى الشعور بالذنب والألم النفسي.

ثالثا. تحليل ومناقشة النتائج المتوصل إليها من خلال تقنية المقابلة:

تَبَيَنَ لنا من خلال البيانات الإحصائية المتحصل عليها على إثر إجراء المقابلات المباشرة مع المبحوثين بأنه:

-لا تخلو تصرفات وسلوكيات الشباب الجزائري عبر الفايسبوك من تجاوز الحدود الأخلاقية المتعارف عليها اجتماعيا، وهذا بقدر معتبر؛ حيث لا يوجد تفاوت كبير يكاد يذكر بين آراء المبحوثين حول عما إذا كانوا قد وقعوا من قبل في مواقف غير أخلاقية مستهم شخصيا عبر الفايسبوك، أي أنهم قد شاركوا فيها من خلال التواصل الافتراضي الذي يتم بينهم وبين الآخرين عبر الدردشة الإلكترونية في هذا المجتمع الرقمي، رغم أن الاتجاه الغالب جاء لينفي وقوعهم في مثل هذه التصرفات غير السوية، والتي لا تتماشى مع القيم السائدة في المجتمع الجزائري؛ فالمؤكدون على حدوث مثل هذا الأمر قد بلغت نسبتهم 48,8% بينما من نفوا ذلك قدرت نسبتهم ب50%.

-يأتي الاتجاه العام على هذا النحو تبعا لعدة مسببات، فمن ناحية أولى علينا الاعتراف بأن الإقرار هنا بممارسة تصرفات غير أخلاقية أو غير معتادة ومن خلال المقابلة المباشرة ليس بالأمر الهين بالنسبة للمبحوثين، الذين يَعْمَدُ البعض منهم لأن يكونوا مثاليين من خلال إجاباتهم وهذه مشكلة من المشكلات التي تعترض الباحث خلال إجراء بحثه العلمي، وعلى وجه الخصوص عندما يتعلق الأمر بأسئلة محرجة أو خاصة، ومن ناحية أخرى يُرْجِعُ هؤلاء الشباب عدم قدرتهم على الدخول في انحرافات أخلاقية وسلوكية - رغم ما يُتِيحُهُ الفايسبوك من حرية كبيرة، ومن فرص لإخفاء الهوية- إلى كونهم يتفاعلون عبر هذا الفضاء مع الأشخاص الذين يعرفونهم في الواقع أكثر من التفاعل والاهتمام بالعلاقات الافتراضية البحتة، وهذا بنسبة جد عالية قد بلغت 93,8%، وكَوْنْ هؤلاء الشباب أيضا يعرضون هوياتهم وذواتهم الحقيقية أكثر من التعامل بهويات افتراضية وخيالية مبنية في صُلْبِهَا على أساس التزييف، والتلاعب بالأدوار، وهذا قد جاء بنسبة 72,5%؛ وكل هذا في نهاية المطاف يُعْتَبَرُ محددا صارما لتصرفاتهم في المجتمع الافتراضي، فهم يخضعون وفقا لهذا إلى نفس القيود الاجتماعية التي يخضعون لها في مجتمعاتهم المحلية، لكن فيما يتعلق بالسلوك العلني الذي يظهر للجماعات التي ينتمون إليها افتراضيا، أما السلوك الخفي فيتحدد وفقا لشخصية كل فرد من حيث مدى الالتزام بالجانب الأخلاقي، وهذا بفعل تأثير عدة

عوامل أخرى على غرار الاختلاف على مستوى السمات السوسيو ثقافية والنفسية، إلى جانب طبيعة الوضع الاجتماعي المعاش في الواقع.

-تتناغم النتائج السالفة الذكر مع ما ترتب على التساؤل الذي قمنا بطرحة حول مدى إحساس أفراد العينة بالجرأة والتحرر من القيود والمعايير الاجتماعية خلال التواصل الافتراضي عبر الفايسبوك، حيث نجد بأن 68,8% منهم لا يشعرون بذلك، في حين نجد أن 30% يقرون بإحساسهم بهذا الأمر، فالأغلبية من المبحوثين يشعرون بأنهم مقيدون وما يُسَيّرُ ويحكم سلوكهم ويحدده في الواقع يحكمهم أيضا في هذا الفضاء، بل يشعر البعض الآخر منهم بالتقييد وعدم الحرية في الفايسبوك بشكل أكبر من الواقع في حد ذاته، والطابع الواقعي الذي أصبحت تتسم به هذه البيئة الرقمية –كما سبق وأن ذكرنا- خاصة على صعيد الأشخاص الواقعيين الذين يتم التواصل معهم أكثر من غيرهم، فهم بمثابة أداة ضبط وقيد اجتماعي يحكم سلوك الأفراد وتصرفاتهم افتراضيا إلى حد كبير.

والواقع هنا يقول غير ذلك، بل يدعم الموقف الثاني الذي أخذ نسبة 48,8%، وهذا ما نَلْمَحُهُ في العديد من الصفحات الفايسبوكية التي نلاحظ من خلالها تجاوزا للأخلاقيات؛ ويكون هذا مثلا من خلال التعليقات التي يبديها المستخدمون على المنشورات باختلاف أنماطها، ففي الكثير من الأحيان تكون هذه التعليقات مُتَضَمِنَة لألفاظ مخلة بالحياء وتُعَبِرُ عن مستوى غير راقي –إن صح التعبير- لبعض المستخدمين فضلا على ما يُتَدَاوَل في وسائل الإعلام التقليدية وبشكل خاص الصحافة المكتوبة الجزائرية من أصداء لحوادث وظواهر شاذة عن المجتمع، وتصرفات لا أخلاقية اسْتُحْدِثَتْ بظهور الفايسبوك وانتشاره، وهذا ما يظهر من عناوين ومضامين العديد من المقالات والأخبار، والتي برزت منذ بداية ظهور هذه الوسيلة ولحد الساعة كما تُبَيِنُهُ بعض العناوين فيما يأتي:

-"جرائم العالم الافتراضي...بلا عقاب في الجزائر: تفنن في ابتزاز الفتيات وتخصص في قرصنة المواقع لسرقة الأموال دون حسيب"، وقد نشر هذا بجريدة الفجر بتاريخ 2011/12/11(ف.حمادي، 2011).

-" القبض على شاب رد على رفض صديقته الزواج منه بنشر صورها في الفايسبوك" والذي نُشِرَ في جريدة المشوار السياسي بتاريخ 2011/06/19 (خيرة طيب عتو، 2011).

-"الفايسبوك في الجزائر...للابتزاز، الجنس، والجريمة" الذي نشر بالبلاد أونلاين بتاريخ 2012/10/02 (لطيفة زهية، 2012).

-"السب والشتم ينتقل إلى مواقع التواصل الاجتماعي"، نُشِرَ هذا بجريدة المقام بتاريخ 2013/10/25 (نجاة دودان، 2013).

-"شذوذ يطيح بلص يصطاد ضحايا عبر الفايسبوك"، والذي نُشِرَ بجريدة الشروق اليومي الجزائرية بتاريخ 2017/11/1 (حورية. ب، 2017).

-"الفايسبوك يطيح بعصابة في باتنة"، الذي نُشِرَ أيضا بجريدة الشروق اليومي الجزائرية بتاريخ 2017/12/3 (طاهر حليسي،2017).

هذه عينة بسيطة فقط مما يُنْشَرْ ومما تَحْفَلُ به الصحافة المكتوبة الجزائرية من مواضيع وأخبار تتضمن حوادث ومظاهر تُعَبِرُ بأن الفايسبوك فتح المجال لتجاوز القيود الاجتماعية التي كانت تحكم الأفراد في ما سبق، مما أدى بالبعض إلى القيام بسلوكيات غير أخلاقية لا يجرؤون على القيام بها في مجتمعهم المحلي، فهم يتصرفون على ذلك النحو لإحساسهم بأنهم مَحْمِيِينَ اجتماعيا لأنهم مجهولين في ظل عدم الكشف عن الهوية وإمكانية إخفائها –كما سبق وأن ذكرنا- وقد أشار إلى هذا الأستاذ **محمد حمادي** في مقال افتتاحي له بجريدة الشروق اليومي الجزائرية بتاريخ 2017/11/12، والذي أشار فيه إلى أن "الانحراف الاجتماعي انتقل من الواقع إلى العالم

الافتراضي وأفرز ممارسات وسلوكيات خطيرة أبطالها أشخاص يتخفون وراء شاشات الحواسيب والهواتف النقالة، ولا يتوانون عن نفث عقدهم النفسية على الشبكة،...غير مبالين بالآثار السلبية التي تَنْتُجُ عن مثل هذه السلوكيات المشينة التي دمرت عائلات وقطعت أرزاقا ونسفت استقرار مجتمعات"، وكما يضيف قائلا: "الأنماط السلوكية غير السوية التي أضحت البيئة الرقمية أكبر حاضن لها أحدثت خلخلة في القيم الأخلاقية والدينية في المجتمع الجزائري، وأنتجت كائنات سادية تتلذذ بإيذاء الناجحين في شتى المجالات..."(محمد حمادي، 2017، ص2).

-وحسب آراء المبحوثين الذين يُقْدِمُون على القيام بتصرفات تتجاوز حدود الأخلاق في تواصلهم مع الآخرين أن هذه التصرفات في أغلبها بالنسبة للبعض منهم لا تتعدى تبادل النكت البذيئة والشتائم واستخدام لغة مخلة بالحياء فيما بينهم، وكذا القيام بتبادل مجموعة من الصور والفيديوهات الخليعة لا غير، في حين تتجسد هذه الممارسات غير الأخلاقية بالنسبة للبعض الآخر منهم في الدخول في حوارات حميمية وجنسية مع الطرف الآخر، أين يكون الانسياق وراء العواطف هنا هو الدافع، وكذا الرغبة في التلاعب بالآخرين، واستكشاف تجربة جديدة بالنسبة لبعض المبحوثين، ويكون ضعف الوازع الديني لدى بعض الشباب من الأسباب التي تقف وراء ذلك.

وهذا ما يتوافق مع نَوَّهَ إليه الدكتور **نديم منصوري** الذي أشار في كتابه "سوسيولوجيا الإنترنت" إلى أن التفاعلات الإنسانية عبر الشبكات الاجتماعية ليس بالضرورة أن تتوقف عند مجرد تبادل الأحاديث والمجاملات بل قد تتحول إلى نشاطات جنسية عبر الإنترنت، هذه النشاطات التي تتراوح بين البحث عن شريك، إلى الدردشة المثيرة، إلى مشاهدة الأفلام والصور الإباحية، إلى إقامة العلاقات الجنسية السايبرية، ويُرْجِعُ هذا الباحث أسباب هذا التهافت على مثل هذه النشاطات إلى البحث عن اللهو وتمضية الوقت، كذا التمكن من التعامل مع الشريك بأسلوب جديد، ومنهم من يفعل ذلك للخروج من دائرة الكبت والحرمان الجنسي، ومنهم من يفعل ذلك رغبة منه في تجاوز حواجز الخوف وإظهار شجاعة جنسية غير مسبوقة، ومنهم من يقوم بذلك للحصول على أعلى درجات المتعة، فضلا على القيام بذلك من أجل تحويل العلاقات السايبرية إلى علاقات حقيقية (نديم منصوري، 2014، ص125).

وما يُعَزِزُ ما سبق قوله هو ما توصلت إليه أحدث الدراسات العربية الحديثة من حيث أن البحث عن الجنس عبر الفايسبوك يحتل المرتبة الأولى في الجزائر ومصر، فالانحرافات الجنسية أصبحت منتشرة عبر هذا المجتمع الافتراضي، حيث يشير **إغزافيار نويل** (**"Xavier Noel**) إلى أن هناك مستخدم من بين خمس مستخدمين يتصف بسلوكات جنسية سيبرونية، وكما يشير إلى أن ميزة إخفاء الهوية والأسماء المستعارة تعطي فرصة للأشخاص للتعبير عن مشاعر حميمية جدا بسرعة، فضلا على الغياب الجسمي للإنترنيتي؛ وهو ما يُنْقِصُ الخوف والخجل وأحاسيس الذنب"(وداد شميسي، المنتديات الإلكترونية، 2015، ص94).

-يجب أن نشير هنا إلى أن متغير الجنس يعتبرا عاملا مؤثرا على مدى الدخول في ممارسات وسلوكيات غير أخلاقية عبر الفايسبوك، حيث ترتفع نسبة لذكور الذين أجابوا ب"تعم" ب55% مقابل 42,5 % للإناث.

-وفي نفس الصدد نجد أن متغير الحجم الساعي للاستخدام يؤثر أيضا، حيث نجد بأن المبحوثين الذين يستخدمون الفايسبوك لمدة أقل من ساعة جاء اتجاههم محايدا بين الموافقة والرفض وبنسبة متساوية، أما الذين يستغرقون في الاستخدام مدة ما بين ساعة إلى ساعتين فنجدهم ينفون حدوث هذا التأثير بنسبة 55%، مقابل 45% للذين يوافقون على ذلك، أما الذين يستخدمون الفايسبوك لمدة ما بين 3 إلى 4 ساعات فنجد مستوى ممارستهم لتصرفات غير أخلاقية قد ارتفع بنسبة

52%، في حين نجد أن الذين يدوم استخدامهم لهذا الفضاء الافتراضي من 5 إلى 6 ساعات فهم ينفون بنسبة عالية وقوعهم في مثل تلك التصرفات وقد جاء هذا بنسبة 64,3%، وعلى العكس من ذلك نجد من تدوم مدة استخدامهم الفايسبوك من 7 ساعات فما فوق فقد ارتفعت النسبة أيضا بما يعادل 59,1% للمؤكدين على التأثير السلبي. فمتغير الحجم الساعي للاستخدام يؤثر بدوره على اتجاه المبحوثين، إذ أنه كلما زاد الحجم الساعي للاستخدام كلما زاد هذا النمط من التأثير، إلا أن هذا لا يعتبر قاعدة ثابتة على الدوام.

قائمة المراجع:

1. أحمد جرار ليلى(2012)، الفايسبوك والشباب العربي، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، مصر، الإمارات، الأردن.
2. ب. حورية(2017)، شذوذ يطيح بلص يصطاد ضحايا عبر الفايسبوك، صفحة الحدث، جريدة الشروق اليومي الجزائرية، ، العدد 5623.
3. بن حسن العريشي جبريل(2015)، سلمى بنت عبد الرحمن، الشبكات الاجتماعية والقيم: رؤية تحليلية، ط1، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، الأردن.
4. بيبيمون كلثوم(2016)، السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي: من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية، مجلة إضافات، العدد 33-34.
5. حليسي طاهر(2017)، الفايسبوك يطيح بعصابة في باتنة، الصفحة الأخيرة، جريدة الشروق اليومي الجزائرية، العدد5655، الجزائر.
6. حمادي محمد(2017)، جوبلز وإخوانه بيننا، جريدة الشروق اليومي الجزائرية، صفحة مراصد الشروق، العدد5634، الجزائر.
7. حمادي. ف(2011)، جرائم العالم الافتراضي...بلا عقاب في الجزائر: تفنن في ابتزاز الفتيات وتخصص في قرصنة المواقع لسرقة الأموال دون حسيب، موقع جزايرس، جريدة الفجر، تم الاطلاع يوم:2017/12/3.
8. درويش اللبان شريف(2015)، إشكالية الرقابة: الضوابط الأخلاقية والتشريعية لشبكات التواصل الاجتماعي في الدول العربية، المركز العربي للبحوث والدراسات، http://www.acrseg.org/39122، تاريخ الاطلاع: أوت 2018.
9. دودان نجاة، (2013)، السب والشتم ينتقل إلى مواقع التواصل الاجتماعي، الموقع الرسمي لجريدة المقام، http://www.elmakam.com/?p=18747، تم الاطلاع يوم:2017/12/3.
10. سند السويدي جمال، (2014)، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية: من القبيلة إلى الفايسبوك، د.ط، د.ب.
11. شميسي وداد(2016)، المنتديات الإلكترونية: بين التفاعلية وفن الحوار الافتراضي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن.
12. صاحب سلطان محمد(2012)، وسائل الإعلام والاتصال: دراسة في النشأة والتطور، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
13. الصادق رابح، الإنترنت كفضاء مستحدث لتشكل الذات، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، (pdf file).
14. طيب عتو خيرة(2011)، القبض على شاب رد رفض صديقته الزواج منه بنشر صورها في الفايسبوك، موقع جزايرس، جريدة المشوار السياسي، تم الاطلاع يوم:2017/12/3.
15. غربي علي(2009)، أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية، ط2، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، دار الطباعة للنشر والتوزيع: الفائز.
16. فريح القيسي عبد هادي(2018)، الانحراف الأخلاقي وأثره على المجتمع، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع32.
17. لطيفة زهية(2012)، الفايسبوك في الجزائر...للابتزاز، الجنس والجريمة، موقع جزايرس، جريدة البلاد أونلاين، تم الاطلاع يوم:2017/12/3.

18.منصوري نديم(2014)، سوسيولوجيا الإنترنت، سلسلة اجتماعية عربية (4)، ط1، منتدى المعارف، بيروت.
19.يونس خليل الأسطل يعقوب، (2011)، المشكلات النفس اجتماعية والانحرافات السلوكية لدى المترددين على مراكز الإنترنت بمحافظة خان يونس، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.
20. Gabriels Katleen, (2011). Ethics and morality in virtual space. In K. Poels, & S. Malliet (Eds.) (2011). Vice City Virtue: Moral issues in digital game play. Leuven: Acco Uitgeverij.
21. Mark Johns, (2014), Shing-ling-Chen, Laura Terlip, symbolic interaction and new social media, 1ed, Emerald books, UK-Japan-Malaziya,.